الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

دور مدرسة بغداد في التوفيق بين مدرستي البصرة والكوفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص دراسات لغوية

إعداد الطالبات:

- حموشي تسعديت
- مداح إيمان
- يزيد نور الهدى.

إشراف الأستاذة:

أ/ حسين بوشنب

السنة الجامعية: 2017-2018

شـــكـــر وعرفان

أولا وقبل كل شيء أشكر الله الذي وفقني إلى ما كنت أطمح إليه،

ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من علمني حرفا،

إلى أساتذتي المحترمين، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف

"حسين بوشنب" الذي أرشدني وتحمل معي مشقة إنجاز هذا العمل

إلى غاية يوم اكتماله،

إلى كل من قدم لي يد المساعدة في سبيل إنجاز وإتمام هذا العمل

في أحسن وجه، خاصة أمي وأبي العزيزين،

كل الزملاء والأصدقاء.

شـــكـــــــرا

الإهـداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الصدر الحنون أمي الحبيبة

وأبي العزيز، عسى الله أن يحفظهما لي،

وإلى جميع أفراد عائلتي، إلى رئيسي في العمل جازاه الله خيرا

"بوشنب" وحفظه الله طول العمر،

إلى أساتذتي الكرام جازاهم الله خيرا؛

وإلى كل من وجهني وساعدني من قريب وبعيد

حموشي تسعديت

مقدمة

مقدمة:

من فضائل القرآن على العرب، أن نبههم لقيمة لغتهم، فالحمد لله الذي جعل العربية لغة القرآن الكريم، فأنزل كتابه بلسان عربي مبين، فكان المعجزة الكبرى لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو الدستور الخالد للأمة الإسلامية منه تستمد عقيدتها وتتبع شريعاتها، وبه نالت شرف القداسة من المنحة الإلهية منذ اصطفاها الله لتكون لغة الذكر الحكيم، ومن المباحث التي لها صلة بالقرآن الكريم على النحو الذي نشأ لمقاومة الفساد الذي تفشى في اللغة العربية، خوفا أن يطال اللحن آيات القرآن الكريم.

فقد فوِّض لخدمة هذه اللغة علماء أجلاء نذروا أنفسهم لخدمة هذه اللغة، فوضعوا لها قواعد تحكمها، متبعين مناهج مختلفة، فظهر النحو البصري، حيث حازت البصرة فضل السبق في وضع النحو، فوصلت لدرجة من الكمال في أصوله وأقيسته ومهجه، مكونا بذلك منهجا نحويا خاصا، ثم انشقت عليها بعد فترة من الزمن الكوفة التي توسعت في السماع، وفي القياس على القليل النادر، وبتمصير بغداد، واتخاذها عاصمة للخلافة، اجتمع فيها الاتجاهان، مما ساعد على ظهور اتجاه نحوي ثالث ينسب إليها، متميز عن نحو البصرة والكوفة، حيث مال إلى الانتقاء، وتميزوا بموقفهم الوسط والتوفيق بين المدرستين، فمنهم من جعله نحوا مستقلا بذاته له منهجه ومميزاته الخاصة، فآثرنا أن يكون هذا الموضوع مجالا لدراستنا، وأن يكون البحث موسوما بـ: دور بغداد في التوفيق بين مدرستي الكوفة والبصرة.

ولمعالجة هذا الموضوع طرح البحث الإشكالية التالية:

-ما هو دور مدرسة بغداد في التوفيق بين مدرستي البصرة والكوفة؟

وللإجابة عن الإشكالية السالفة اعتمدنا خطة تشتمل على فصلين مسبوقة بمقدمة ومتلوة بخاتمة.

- الفصل الأول فقد تطرقنا إلى نشأة النحو العربي وأهم أسباب ظهوره، والمدارس النحوية، تعريفها، وأهم مميزاتها، وتناولنا فيه التعريف بمدرستي البصرة والكوفة أعلامهما ومنهجهما.

- وأما الفصل الثاني فقد خصصناه لمدرسة بغداد التي كان فيها النحو تابعا إلى سابقيها من البصريين والكوفيين، وكذلك دورها في التوفيق بين المدرستين، ومسائل الخلاف بينهما، مبرزين آراء بعض أعلامها المستقلة.

- وأما الخاتمة فقد تضمنت النتائج التي توصلنا إليها بعد الفراغ من هذا البحث.

- وقد اقتضت طبيعة البحث اعتماد منهج وهو:

المنهج الوصفي: فقد اعتمدنا عليه في جمع مادة البحث وشرحها وتحليلها والتدليل عليها.

- ولقد رجعنا عند إعداد هذا البحث إلى جملة من المصادر والمراجع منها:

- ✓ المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي لمحمود حشي محمود.
- ✓ نشأة النحو وتاريخ نشأة النحاة لمحمد الطهراوي.

- ✓ المدارس النحوية لخديجة الحديثي.
- ✓ همع الهوامع في شرح جمع الهوامع لجلال الدين السيوطي.
- ✓ مدرسة الكوفة لمهدي المخزومي.
- ✓ المدارس النحوية لشوقي ضيف.

وهذا فقد واجهتنا أثناء إنجاز البحث جملة من الصعوبات منها، اختلاف المعلومات وأحيانا تضاربها، وكذلك في الآراء النحوية.

ولقد كانت توجهات أستاذنا الفاضل المشرف على هذا البحث خير عون لنا في تذليل الصعوبات، فجزاه الله خيرا.

الفصل الأول

الفصل الأول:

المبحث الأول: النحو العربي والمدارس النحوية.

1. نشأة النحو.

2. مفهوم النحو.

3. تعريف المدرسة النحوية.

المبحث الثاني: المدرسة البصرية النحوية.

1. مفهوم البصرة.

2. . أشهر علمائها.

3. منهج بحث مدرسة البصرة

المبحث الثالث: المدرسة الكوفية النحوية.

1. مفهوم الكوفة.

2. أشهر علمائها.

3. منهج بحث مدرسة الكوفة.

1. نشأة النّحو:

يصعب التأريخ لنشأة النحو العربي، وتصعب نسبة هذا العلم إلى شخص بعينه فقد تعددت الروايات وتضاربت الآراء حول وضعه، إذ تؤرّخ بعض هذه الروايات بأبي الأسود الدؤلي (69هـ) بوصفه واضع الأسس الأولى لعلم النحو، حيث في هذا المقام يقول ابن سلام الجمحي (232هـ): « وكان أوّل من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها، أبو الأسود الدؤلي »[1]، فاختلف البعض في سنة نشأة النحو حيث يقول الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين: « تذكر بعض الروايات أنّ واضعه هو نصر بن عاصم»[2]، وفي قول آخر هناك من الروايات من يقول «أنّ واضعه هو عبد الرحمان ابن هرمز»[3] ومن خلال هذه الآراء هناك من الروايات ما يجعل هؤلاء الثلاثة مشتركين في وضع هذا العلم، حيث قال الزبيدي: «أوّل من أصل ذلك (يعني النحو) وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم من عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم وعبد الرحمان بن هرمز، فوضعوا للنحو أبوابًا وأصّلوا له أصولًا، فذكروا عوامل الرفع والنّصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف».[4]

---

[1]– ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: أبو فهد محمود محمد شاكر، دار مدني، جدة، د.ط، 1980، ص12.

[2]– أبو بكر الزبيدي الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار المعارف، مصر، 1392هـ، 1973م، ص27.

[3]– المرجع نفسه، ص26.

[4]– المرجع نفسه، ص11.

وبعدما تحدّثنا عن واضعي علم النحو سنتدرّج إلى ذكر أهم أسباب ظهوره فعند حلول عصر الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم، فتفشى اللحن، وفسدت الألسنة، وتسرب هذا الضعف إلى العرب وإلى اللغة العربية على حد سواء، ووضحت الملاحظة الدقيقة التي تمتاز بها. هذا ما أدى إلى وضع قواعد وضوابط تمنع من حدة هذا الوباء الذي حل بلغة القرآن، و في هذ السياق قال ابن خلدون في مقدمته: « فلما جاء الإسلام و فارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقي عليها السمع من المخالفات التي المستعربين من العجم، وخشي أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا و يطول العهد، فينغلق القرآن و الحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم وقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النّحو».[1]

2. مفهوم النّحو:

عُرف النحو في كتاب الخصائص لابن جني أنّه: «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير، والتكبير والإضافة، والنسب والتركيب»[2]، وفي مقام آخر عرّفه الجرجاني (ت816هـ) بأنّه: « علم بقوانين يعرف

[1]– عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلغي، دمشق، سوريا، ج2، 2004. ص368–369 (بتصرف).

[2]– أبو الفتح عثمان ن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، ج1، د.ت، ص34.

بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها،... وقيل علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفساده»[1]، وعرّفه ابن عصفور (ت699هـ) بأنّه: « هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اِئتلف منها».[2]

ومن خلال هذه التعريفات يتبيّن أنّ النحو هو علم يُعرف به صحيح الكلام من فاسده، مستنبط بالقياس والاستقراء من كلام العرب، والغاية من دراسته فهم بناء الجملة وتحليله تحليلًا لغويًّا يكشف عن أجزائها.

3. تعريف المدرسة النحوية:

إنّ البحث في المدارس النحوية قد شغل حيّزًا واسعًا في الفكر النحوي الحديث، ولم يأل الباحثون جهدًا في الوقوف على تاريخ هذه المدارس وتثبيت أصولها، فقد اجتهد علماؤنا في تلمّس الأصول أو المعايير التي يجب أن تتوفر في فكر نحوي مالكي يصحّ أن نطلق عليه مصطلح (مدرسة) أو (مذهب).

وعليه ينبغي علينا أن نتوقف عند مفهوم لفظة (مدرسة) في نظر الباحثين، وفي هذا الصدد يذهب الدكتور أحمد مكي الأنصاري في تعريف المدرسة إلى قوله: «اتجاه

---

[1]– علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة بيروت، لبنان، د ط، 1985. ص259–260.

[2]– علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006. ص23.

له خصائص مميزة ينادي بها الفرد أو جماعة من النّاس ثمّ يعتنقها آخرون».[1] وعرّفها أيضًا الدكتور أحمد مختار عمر بقوله: «وجود جماعة من النحّاة بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النّحو، ولا بدّ أن يكون هناك الرائد الذي يولم الخطّة ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه، ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره، والدفاع عنه».[2]

ومن خلال التعريفات نستنتج أنّ مصطلح المدرسة النحوية يقصد به اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي واختلفت مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية. حيث ذهب الدكتور عبد العال سالم مكرم إلى أنّ المدرسة لا تكون مدرسة: «إلاّ إذا توحّدت فيها الأهداف وتناسقت الأصول، وتميزت مناهجها بطابع خاص».[3]

وبالنّظر إلى ما تقدّم نجد أنّ هذه التعريفات اتّفقت على اختلاف عباراتها في أنّ ملامح المدرسة تتلخّص فيما يلي:

1- التميّز بمنهج واحد أو سمات منهجية موحّدة على مستويي التنظير والتطبيق، أو الالتزام بخطّ فكري موحّد.

2- وجود رائد يؤسّس المدرسة ويقود خطها الفكري ويُعدُّ المبتكر لها.

---

[1]- أبو زكرياء الفراء، مذهب في دراسة النّحو واللّغة، د. أحمد مكي الأنصاري، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الجامعية، القاهرة، 1964. ص352.

[2]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، علم الكتب، القاهرة، ط3، 1978. ص90.

[3]- د. عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، دار الشروق، ط1، 1980. ص07.

المبحث الثاني: مدرسة البصرة النحوية:

للحديث عن المدرسة البصرية ونشأتها لا بدّ لنا من الحديث عن البيئة التي احتوتها.

1- مفهوم البصرة: جاء في تعريف البصرة هي «الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة، وقيل الأرض الحصى، وقيل الحجارة الرخوة البيضاء، وقال بعضهم إنّ البصرة تعريب "بس راه" الفارسية ومعناه الطرق الكثيرة المتشعبة والأول أرجح».[1]

والبصرة هي المدينة العربية المعروفة حاليًا بأرض بغداد، ويعود سبب تسميها البصرة ما ذكره الشرقي بن القطامي: «أنّ المسلمين حين وفدوا على مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا: إنّ هذه أرض بصرة، يعنون حصبة، فسميت بذلك».[2] ونجد الكثير من الأقوال الأخرى حول سبب تسميها بالبصرة، حيث قيل: «سُميت بالبصرة لأنّ عتبة بن غزوان كتب في تمصيرها ووصفها بقوله: إنّي أرى أرضًا كثيرة الفضّة في طرق البر إلى الريف، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء. فقال عمر: بهذه أرض بصرة قريبة المشارب والمراعي والمحتطب».[3]

ولا نقف عند الحديث عن سبب تسميتها بل نذهب إلى موقعها الجغرافي الذي ميّزها عن باقي البلدان حيث قال ابن سلام: «كان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات

---

[1]- بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، لبنان، ج5، د.ت. ص453.

[2]- شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الحَموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز، الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، م1، 1990. ص510.

[3]- المصدر نفسه. ص153.

العرب والغريب عناية ».[1]، «حيث كان للموقع الجغرافي للبصرة المحاذي لبادية العراق، وقربها إلى العرب الأقحاح، أثر في تميّزها اللّغوي والنّحوي، أمّا مجالس العلم والمناظرة ووفود الشعراء إلى سوق المربد فكان له أيضًا أثرًا كبيرًا، حيث يأخذ اللغويون عن أهل اللغة ويأخذ عنهم ما يصحح قواعدهم»[2]، وهنا يظهر ممّا سبق أنّ البصرة كانت تتميّز عن باقيها، وذلك يعود إلى مخالطتها العرب الأقحاح فكانوا فصيحين فتميّزت غويًا ونحويًا، فقد كان سكّانها في عزلة عن الأعاجم.

ومن المعروف أنّ مدينة البصرة «أغلب سكانها من القبائل العربية التي كانت تقيم في شرقي الجزيرة العربية، وخاصة منطقة الخليج الفارسي... وكانت تقع على ممر عدّة طرق تجارية مهمة ولذلك أصبحت مركزًا لحياةٍ اقتصادية نشيطة واسعة».[3]

ولا يفوتنا الذكر أنها كانت ملتقى السفن، ومجمع الناس من مختلف الجنسيات بتعدّد ثقافاتهم وألسنتهم وخاصة بالجنس اليوناني، فتكوّنت بذلك جاليات كانت تدين المسيحية، وفي هذه الظروف كان أهلها يعتمدون على التّجارة، فتلاقت مختلف العقول: من هندية وفارسية ويونانية، ومن ديانات مختلفة: اليهودية والمسيحية، مما ألزمهم بتقديم حكم العقل وهذا ما ذهب إليه الدكتور صالح أحمد العلى في قوله: «ولم تكن البصرة في

---

[1]– ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار مدني جدة، د.ط، 1980. ص12.

[2]– إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، دار الميسرة، د.ط، 2008. ص24–25.

[3]– صالح أحمد العلى، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، طبعة المعارف، بغداد، 1953. ص06.

عزلة عن الأعاجم والموالي الذين بدءوا يكتسحون الحواضر الإسلامية بسبب الفتوح، فقد جاء عبيد الله بن زياد بألفين من الأتراك الذين أسرهم في حملاته في أواسط آسيا، فأسكنهم البصرة وجعلهم في العطاء، ومنحهم من الأرزاق».[1]

ومن هنا نستنتج أنّه ظهر اللّحن، ممّا جعل الخلفاء يفكرون في وضع الأسس التي تصون بناء اللّغة، وتحفظها من عبث العابثين، وكان من أهم هذه الأسس الاشتغال بالدراسة النحوية ووضع القواعد ومن هنا نرى أنّ علماء البصرة احتضنوا الدراسة النحوية لأنّها في بلدهم نشأت وفي مدينتها تكوّنت، وعلى يدهم أخذت تنمو شيئًا فشيئًا.

2- أشهر علمائها:

يُعدُّ ابن أبي إسحاق الحضرمي أوّل النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ويتّبعه في هذه الأولية المبكّرة جيل من تلاميذه في مقدمتهم عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء ويوسف بن حبيب.

ونبدأ بابن أبي إسحاق الذي يعدّ بحقٍ أستاذ المدرسة البصرية

ابن أبي إسحاق الحضرمي: «هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي المتوفي سنة (117هـ) وفيه يقول ابن سلام الجمحي "كان أوّل من بعج (فتق) النّحو ومدّ القياس وشرح العلل". وبذلك يجعله الواضع الأول لعلم النّحو، إذ يجعله أوّل من اشتق قواعده

[1]- صالح أحمد العلى، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، المرجع السابق. ص72.

وأوّل من طرد فيها القياس بحيث يحمل ما لم يسمع عن العرب على ما سمع عنهم».[1]

فقد كان ابن أبي إسحاق متميّزًا باهتماماته بالقياس والتعليل والعناية بتنويع النّصوص واستقراء الشواهد، وهذا ما ذهب إليه شوقي ضيف: «وهو لم يعن بالقياس على قواعد النّحو فحسب، بل عُني أيضًا بالتعليل للقواعد تعليلاً يمكِّن لها في ذهن تلاميذه وجعله تمسّكه الشديد بتلك القواعد المعلّلة والقياس عليها قياسًا دقيقًا بحيث لا يصحّ الخروج عليها يخطِّئ كل من ينحرف في تعبيره عنها».[2]

[1]– شوقي ضيف، المدرسة النحوية، دار المعارف القاهرة كورنيش النيل، ط7، 1119. ص72.

[2]– المرجع نفسه. ص72.

جدول مبين لطبقات فريق البصرة:[1]

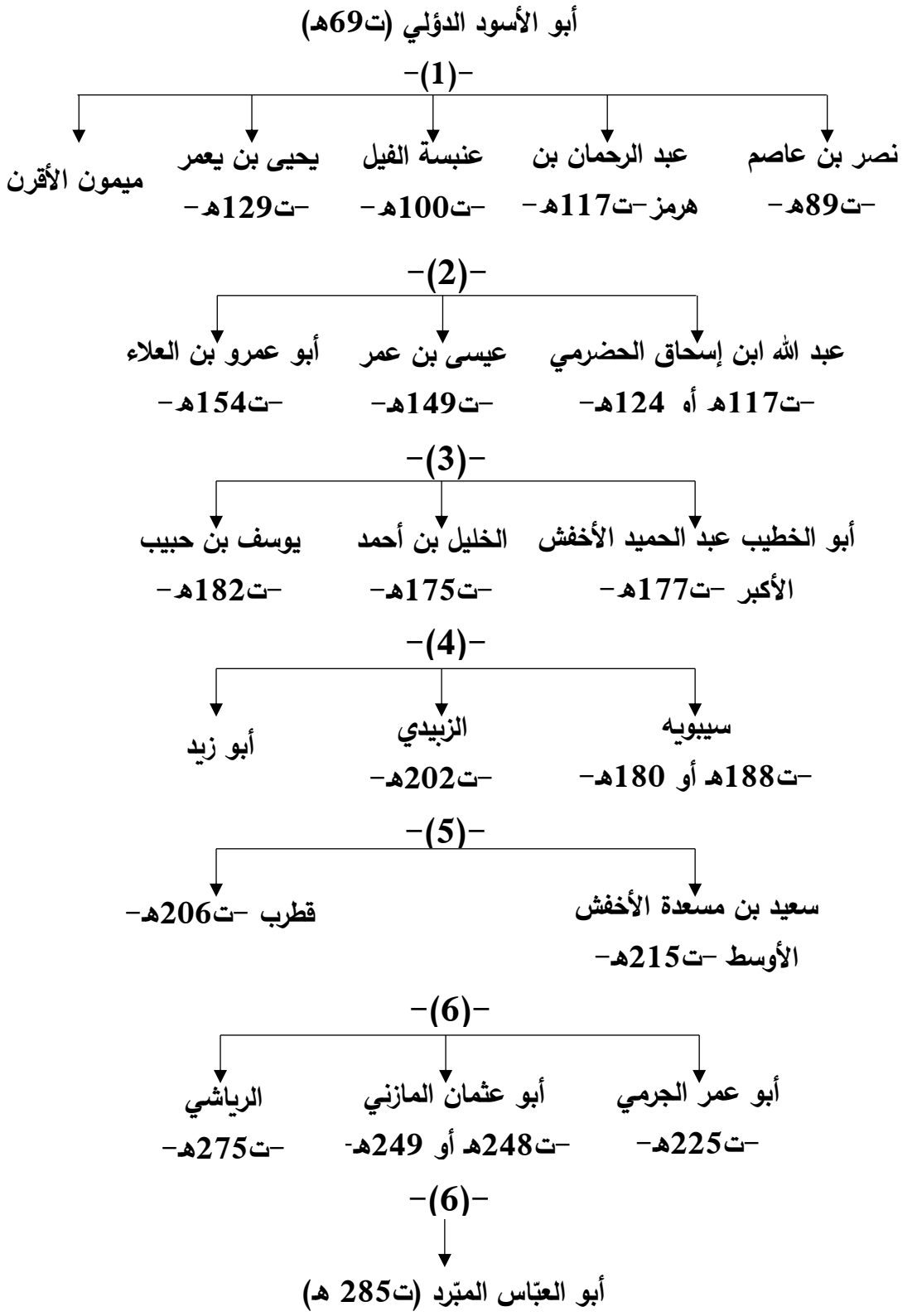

[1]- محمد الطهطاوي، نظرية نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت. ص69.

كانت طريقة التعليم تعتمد على التلقي الشفهي المقرون بالإملاء حينًا، أو بقراءة بعض المؤلفات عند بدء التأليف حينًا آخر، وبعدما يأخذ المتعلم عن أستاذه يتصدى للتعليم فتكونت مجموعة من الطلاب ينشدون الأخذ عنه، وبذلك تشكلت طبقات النّحاة، وهذا ما ذهب إليه الطهطاوي في الجدول المبين للطبقات، نذكرها باختصار شديد:

الطبقة الأولى: وشيخها أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ)، وقد أخذت عنه جماعة منهم نصر بن عاصم، عبد الرحمان بن هرمز، عنبسة الفيل، يحي بن يعمر وميمون الأقرن، وكل هؤلاء امتازوا بإلمامهم بجميع علوم اللغة العربية وخاصةً علم القراءات، فقد كان النّحو آنذاك في مرحلة التكوين.

الطبقة الثانية: ومن أشهر علمائها الثلاثة: عبد الله بن إسحاق الحضرمي، عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء، وقد هتمّوا بالقياس والتعليل.

الطبقة الثالثة: شيخ هذه الطبقة الخليل بن أحمد الفراهيدي الأخفش الأكبر ويونس بن حبيب، وامتازوا نحو فكرة القياس وتصحيحها من طرف الخليل

الطبقة الرابعة: وشيخها سيبويه، ومن علمائها الزبيدي وأبو زيد الأنصاري.

الطبقة الخامسة: وشيخ هذه الطبقة الأخفش الأوسط، ومن علمائها قطرب، حيث من خلال الأخفش وصل إلينا كتاب سيبويه.

الطبقة السادسة: شيخ هذه الطبقة هو المازني، ومن علمائها: أبو عمر الجرمي والرّياشي، تميزت بظهور الشروح ووضع المصطلحات.

الطبقة السابعة: وشيخ هذه الطبقة أبو العبّاس المبّرد، وإليه انتهت إمامة النّحو البصر.

3- منهج بحث مدرسة البصرة:

عند مجيء الإسلام أخذت بعض الملل تعبث به، ممّا حدا بفئة من العلماء، وبما عرف من التاريخ بعلماء الكلام للتّصدي لهم، وكان أشهر هذه الفرق الكلامية هي المعتزلة التي أسّسها واصل بن عطاء حيث كان نحاة البصرة من هذه الفرق الكلامية، وهذا ما ذهب إليه الخليل في قوله: «في الحقيقة نحاة البصرة تأثّروا بالبيئة البصرية ونهجوا المعتزلة وتأثّروا بهم في الاعتداد بالعقل وطرحوا كل ما يتعارض معه، فأهملوا الشواذ في اللغة، لهذا سُمي نحاة البصرة أهل المنطق».[1] فقد كان نحاة البصرة متأثرون بالمنطق والفلسفة والاعتزال.

كما عرفنا فيما سبق أنّ البصرة تواطنها القبائل العربية العريقة الفصحاء، منهم: بني تميم، وبني قيس، فقد كانت البصرة تتقيّد بضوابط الصّحة والنقاء والسلامة في المصدر، فقد كانوا شديدي البعد عن الحظر والاختلاط بهم، فقد كانوا يهملون الشواذ وهذا ما أكّده الدكتور رزيق الطويل في قوله: «منهج محافظ متزمت، لا يعتدّ إلا بالسّماع الكثير من قبائل معينة ويهدر الشّواذ، ويعتد بالقياس، وقد يقوم على تخطئة الفصحاء وردّ ما خالف القياس ن قراءات القرآن»[2] وهذا دليل على أنّ البصريين كانوا يعتدّون بالقياس ويهملون الشواذ، حيث يقول الدكتور عبد الجبار النايلة: «استشهاد البصريين

---

[1]- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه. ص72.

[2]- السيّد رزيق الطويل، الخلاف بين النحويين ـ دراسة ـ تحليل ـ تقويم، المكتبة الفيصلية، د.ط، د.ت. ص601.

بالقرآن الكريم لا يختلف عن استشهادهم بسائر النصوص الأخرى، فمع اعترافهم التّام بأنّ القرآن مصدر مهم للشواهد الصحيحة والفصيحة ورغبتهم القوية في الاستشهاد بآياته البيّنات، اعتزوا بأقيستهم وأصولهم وقدّموها على كل نصّ وهذا جعلهم لا يستشهدون بآية إلا إذا تأيّدت بالسّماع شعرًا كان أو نثرًا»[1]، ومن خلال هذا القول نفهم أنّ البصريين كانوا يستشهدون بالنصوص من أقوال للعرب الفصحاء، وغيرها واعتمدوا على القرآن الكريم لأنّه كان في أعلى مستويات البيان والفصاحة، رغم ذلك فإنّهم كانوا يعتزّون بأقيستهم ويقدّمونها على كل نصّ. أمّا الدكتور عبد العال سالم فقد صرّح بأنّ القياس هو الصيغة العلمية العامة للنحو البصري بقوله: «الصيغة العامة للمذهب البصري أنّه مذهب حاول أن يدخل مسائل الخلاف في (بودقة) المنطق بأقيسته وتعليلاته وفروضه وتأويلاته قبل الرجوع إلى كلام الله وكلام العرب لعرض هذه المسائل في ضوئها، ومن هنا كان أهم ما يرتكز عليه المذهب البصري هو القياس».[2]

وعلى هذه الشاكلة شيّدت البصرة صرح النّحو ورفعت أركانه بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك كلّه، بقراءات الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار، حيث قال شوقي ضيف: «وفي ذلك نفهم السرّ أنّ عقل البصرة كان أدقّ وأعمق من عقل الكوفة وكان أكثر استعدادًا لوضع العلوم، إذ سبقتها إلى الاتّصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني،

---

[1]– عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النّحو، مطبعة الزهراء، بغداد، د.ط، م1، 1976. ص203.

[2]– عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي الجراح الصباح، ط2، 1978. ص92.

وما وضعه أرسطو وطاليس من المنطق وحدوده وأقيسته، ويمكن أن نلاحظ آثار ذلك في نشاط المباحث الدينية في البلدتين، فقد عنيت الكوفة بالفقه بينما عُنيت البصرة بعلم الكلام».[1]

ومن هنا نستنتج أنّ عقل كلّ من البلدتين له صبغة علمية خاصة به.

[1]– شوقي ضيف، المدرسة النحوية، المرجع السابق. ص21.

المبحث الثالث: المدرسة الكوفية النحوية:

1- مفهوم الكوفة:

الكوفة بالضمّ: « المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق سماها قوم خذ العذراء، وسميت الكوفة لاستدارتها أخذًا عن قول العرب: رأيت كُوفانًا وكَوفانًا بضمّ الكاف وفتحها للرّملة المستديرة، وقيل سميت كوفةُ الكَوفة كوفةً لاجتماع النّاس بها من قولهم: قد تكوّف الرمل... وقيل: سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، قد أعطيت فلانًا كيفة أي قطعة».[1]

ولم تكن معروفة بهذا الاسم قبل تمصيرها، فقد مصرت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة تي مصرت فيها البصرة في العام السابع عشر هجري، وقيل بعدها بعام أو عامين (ت18-19هـ). وقد نشأت بعدما درس الكوفيون على يد الخليل وأخذوا عنه، وبذلك فقد صنعوا لأنفسهم منهجًا جديدًا وأخذوه عن البصرة نهجًا تامًّا، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الراجحي في قوله: «وللبصريين أثر في تلقّي الكوفيين علوم اللّغة، فكما كان كثير من رجال العلم الكوفيين يشدون الرّحال إلى حلقات الدرس فيها، ان بعض أهل العلم من البصريين يقصد إلى الكوفة، ويتصدر للتأسيس فيها، حركة

[1]- شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، ط1، م1، بيروت، 1990. ص558-559.

التواصل هذه كان لها أثر في تناقل الخبرات والأخبار فما يحدث في البصرة تجد صداه في الكوفة والعكس صحيح».[1]

وقد كان الاختلاط السائد آنذاك في الكوفة من العرب والفرس الوافدين إليها بدافع وبحكم المجاورة، كان له لغات متعددة وديانات منها اليهودية والنصرانية، حيث كان لهذا الاختلاط أثرٌ أيضًا في اللّغة العربية، فقد كان للكوفة دورٌ هامٌ في الفتوحات الإسلامية، فقد كانت مركزًا للخلافة في عهد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

لقد نشأ النّحو في الكوفة نشأته في معظم الأمصار الإسلامية بعد نشؤ العلوم الدينية وانتشارها على أيدي علماء القرآن وقراءاته، وقد اهتمت الكوفة منذ تأسيسها بالعلوم الدينية، حيث كان أغلب الأساتذة القائمون بالعلوم الدينية هم صحابة بعثهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى الكوفة لتعليم أهلها القرآن، وفي مقام آخر ذهب الدكتور عبد العال سالم مكرم إلى بيئتها قائلًا: «كان أغلب سكانها من أهل اليمن، وشمال الجزيرة العربية، وهي تضمّ عددًا كبيرًا من أهل البيوتات العربية القديمة التي كان لها مركزًا مرموقًا في الجاهلية».[2]

---

[1]– عبد الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، 1988. ص36–41.

[2]– صالح أحمد العلى، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، طبعة المعارف، بغداد، 1953. ص05.

ومن المعروف أنّ النّحو نشأ في البصرة أوّلاً وهذا ما ذهب إليه وأكّده عبد الراجحي في قوله: «والّذي لا شكّ فيه أنّ النّحو بصورته المعروفة نشأ بصريًا وتطوّر بصريًا».[1]

نستنتج ممّا سبق أنّ الكوفة كانت مركزًا من مراكز العلم كما كانت البصرة. وأنّ النّحو نشأته الأولى في البصرة وترعرع في الكوفة التي كانت تهتم بالعلوم الدينية ممّا جعلها مقرّ لاستقطاب الوافدين الجدد في الديانة الإسلامية أمثال: الأندلسيين، حيث شغلت مكانًا واضحًا في القرنين الثاني والثالث.

[1]– عبد الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، المرجع السابق. ص09.

2- أشهر علمائها:

جدول مبين لطبقات فريق الكوفة: [1]

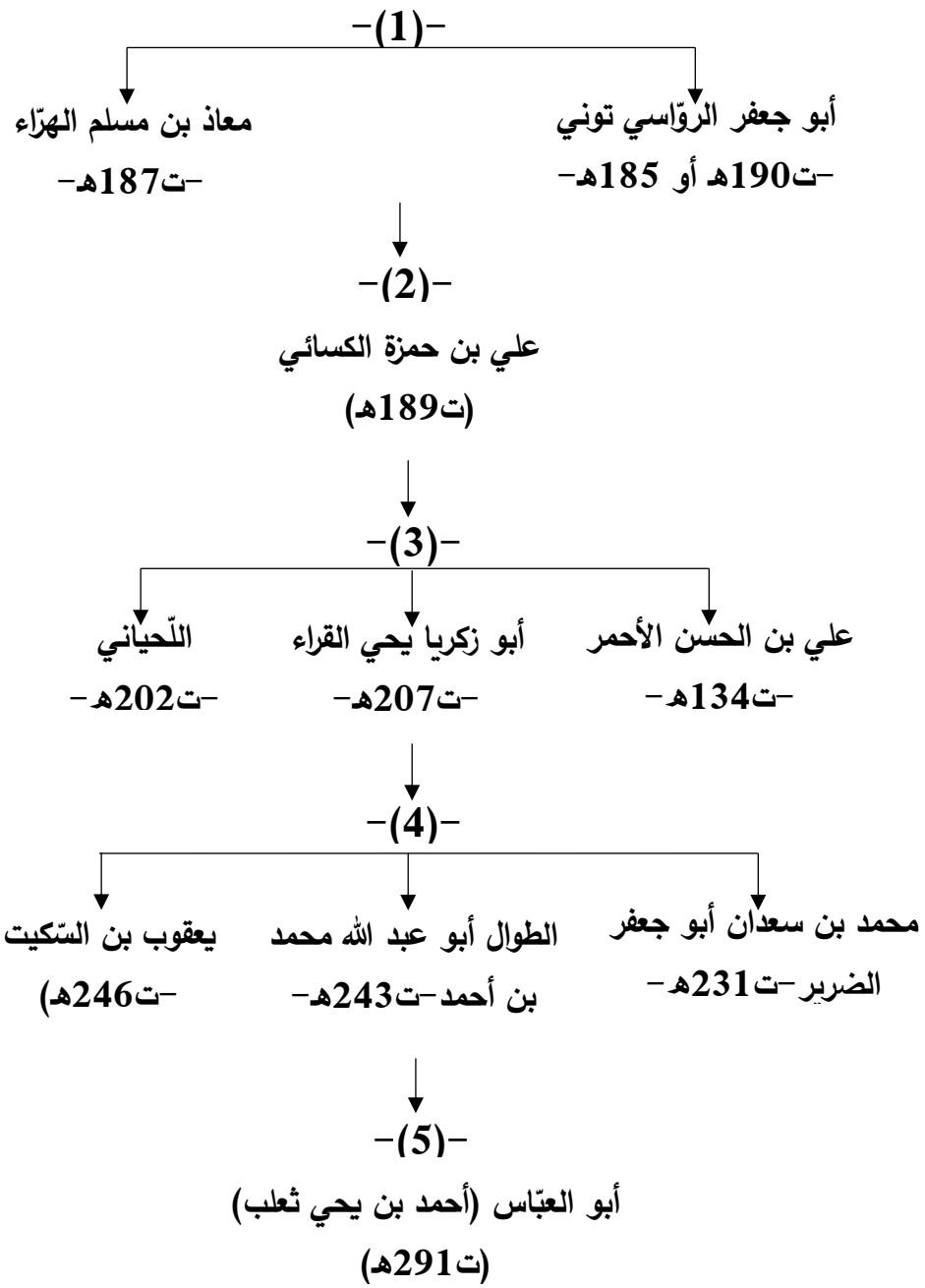

[1]- محمد الطهطاوي، نظرية نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، المرجع السابق. ص69.

لقد استطاع علماء الكوفة أن يأخذوا النحو من البصرة وغيّروا فيه، ونهجوا منهجًا مستقلاً في الدّراسة مشكلين مذهبًا أو مدرسة نحوية استطاعت أن تثري الدرس النّحوي، وتشكلت فيها خمس طبقات من النّحويين نذكرها كالآتي:

الطبقة الأولى: شيخها أبو جعفر الرّواسي (ت190هـ)، ومن أهم علمائها معاذ بن مسلم الهرّاء.

الطبقة الثانية: وشيخ هذه الطبقة هو الكسائي (ت189هـ).

الطبقة الثالثة: وشيخها الفرّاء، وأهم علمائها علي بن الحسن الأحمر واللّحياني.

الطبقة الرابعة: محمد بن سعدان، الطّوال أبو عبد الله بن أحمد ويعقوب بن السّكيت.

الطبقة الخامسة: شيخها أبو العباس أحمد بن يحي الملقب بثعلب (291هـ).

3- منهج بحث مدرسة الكوفة:

نشأت المدرسة الكوفية بعد تطوّر المدرسة البصرية، فقد كانت في القمّة لأنّ أقيستها وعللها اتّسمت بالنضوج والكمال، وعند نشوء المدرسة الكوفية أصبحت المدرسة البصرية ينبوعًا لها. يمدّها بالنّمو، حيث كان البصريون يقبلون على علماء الكوفة يأخذون عنهم العلم والنّحو وهذا ما جعل الكوفيون يتميّزون بمنهج خاص مختلف عن المدارس النحوية الأخرى.

وقد كان للكوفيين عناية فائقة بالشواهد والنوادر وهذا ما قاله السيّد عبد الرحمان: «إنّ الكوفيين قبلوا كل ما جاء عن العرب واعتدّوا به وجعلوه أصلاً من أصولهم التي

يرجعون إليها ويقيسون عليها، ويستوثقون منها، حتى تلقّفوا الشواهد النادرة وقبلوا الروايات الشاذّة»[1]، حيث ينقل عن الأندلسي في شرح المفصل قوله: «الكوفيون لو سمعوا بيتًا واحدًا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلًا وبوّبوا عليه».[2]

ومن خلال ما سبق ذكره عن مدرسة البصرة أنّها على قدر وافٍ من الحفاظ والتشدّد، واشترطوا في الشواهد منها القياس أن تكون جارية عل ألسنة العرب الفصحاء، عكس ما كانت عليه الكوفة التي اعتدّت بأقوال وأشعار المتحضّرين من العرب والفصحاء منهم. وأنّهم إذا سمعوا لفظًا في شعر أو كلام نادر جعلوه بابًا. فكانوا أحيانًا يستندون إلى القياس بدون أيّ سماع.

إذًا فالمنهج الكوفي يتلخص فيما يلي:

1- الاستشهاد بلهجات عرب الأرياف الذين وثقوا بلغتهم على حين رفض البصريين الاستشهاد بها. فقد عاب البصريون على الكوفيين حيث يدلل قول الرّياشي: «نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللّغة عن أهل السّواد أصحاب الكواميخ*، وأكلة الشواريز *».[3]

---

[1]- السيّد عبد الرحمان، المدرسة البصرية النحوية نشأتها تطورها، دار المعارف، القاهرة، 1978. ص145-146.

[2]- المرجع نفسه. ص149-150.

* الكواميخ : المخللات تشتهي بها للطّعام. / * الشواريز : الألبان الثخينة.

[3]- الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم، تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، د.ط، د.ت. ص99.

2- وللحديث عن أهم خصائص الكوفيين وعن طريقتهم في وضع النّحو، ينبغي لنا أن نتحدّث عن أمرين هامين هما السماع والقياس.

أمّا بالنسبة للسّماع فالكوفيون لم يكن عندهم قيود للسّماع كما عند البصريين من تشدّد حيث تتعلّق بالزمان والمكان والثقة، فهم سمعوا ورووا عن معظم القبائل العربية بادية وحاضرة، وهم بذلك ألغوا قيود السماع البصرية.

أمّا بالنسبة لجانب القياس فالكوفيّون حين توسّعوا في السماع كان حتمًا عليهم التوسّع في القياس، كانوا يقيسون على أقوال العرب حيث قال الكسائي: «إنّما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع».[1]

وقد تحدّث مهدي المخزومي عن خصائص المدرسة الكوفية والتي ذكرها في كتابه مدرسة الكوفة والتي تتمثّل في: «الكوفيون يعتدّون بالمثال الواحد والأمثلة عندهم هي مناط القياس، حيث يمتاز نحاة الكوفة بفهم العربية فهمًا لا يستند إلى فلسفات وتكهّنات النحو الكوفي أبعد ما يكون عن الأخذ بأسباب المنطق، حيث حرص الكوفيون على الأخذ بالمسموعات والمرويّات.

ليس صحيحًا أنّ البصريين أكثر تطلّبًا في أمر الرواية من الكوفيين.

تشدّد البصريين في الروايات مبالغ فيه».[2]

---

[1]- جمال الدين علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباء النّحاة، تح: محمد الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ط1، ج2، 1952. ص267.

[2]- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه. ص05.

وعند انتهاء الخلاف بين المدرستين منذ الربع الأول للقرن الرّابع هجري ظهرت مدارس أخرى مثل: المدرسة البغدادية والأندلسية والمصرية والشامية. وقد استوعبت تلك المدارس النّحو البصري وتمثّلته، فاتّسمت بطباعه مع الذهاب إلى مذاهب الكوفتين في هذه المسألة أو تلك.

فقد كان انتقال علماء البصرة إلى بغداد حيث الخلفاء الأمراء كانوا يشجّعون العلم والعلماء، فقد كان الأمراء يغدقون عليهم بالأموال والأرباح، لذلك تطوّرت الدراسات اللّغوية ممّا أدّى إلى نشأة المدرسة البغدادية التي تقوم على أساس التّوفيق بين مذهبي الكوفيين والبصريين فزخرت كتب هذه الحقبة بذكر مذاهب المدرستين مع الترجيح لهذا المذهب أو ذاك.

الفصل الثاني

المبحث الأول: نشأة الخلاف بين البصريين والكوفيين

أولا: الخلاف النحوي بين الفريقين

كانت البصرة والكوفة المدرستين التي ازدهت فيهما الحركة العلمية مما يساهم في انتشار الدراسات اللغوية والدينية والفلسفية.

وكانت البصرة قد سبقت الكوفة في مكانتها الهامة التي جعلت منها نقطة التقاء الثقافات، وكان ذلك يشكل مفارقة لما كان عليه في الكوفة، إذ همت الكوفة بالدراسات القرآنية وجمع الشعر القديم واللغة، ورغم تأثر الكوفة بما يجري بالبصرة إلا أنها اعتمدت على منهج الزاوية والاستشهاد.

فقد نشأ النحو في البصرة منذ حوالي مائة عام، فاستطاعت الكوفة أن تشارك في هذا العمل ولكنهما اختلفا في المنهج، مما جعل لكل منهما مدرسة أو مذهبا فنشأ الخلاف بينهما واتسع، فألقوا بعض الكتب الذي سجل فيها القدماء قضية الاختلاف، من بينها: "اختلاف النحويين لثعلب (291ه)" و"المسائل على مذهب النحويين فيما اختلف فيه البصريون والكوفيون"[1] ،من المتأخرين منها: "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" لأبي البركات الأنباري (588ه) و" إتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة" للزبيدي (806ه) وغير ذلك من المؤلفات.

---

[1]– محمد إبراهيم البنا، الإعراب ومستقبل لغة التخاطب، دراسات في اللهجات العربية، كلية الآداب سوهاج، مصر، 1981، ص 120.

ومن أهم أسباب الخلاف نذكر ما يلي:

1- المادة العلمية:

حيث يعتبر الدكتور طلال علامة أن منشأ الخلاف بين المدرستين: « في الأخذ عن الأعراب »[1]، حيث اعتمدت كل مدرسة منهجا مخالفا للأخرى في الأخذ عن المادة، فتقيدت البصرة بجملة من القواعد والضوابط أساسها الصحة والتقاء والسلامة في المصدر إذ كانوا يأخذون عن العرب الأقحاح، ومن فحصاء القبائل المنشوطة في البصرة: بني تميم وبني قيس فقد تميزت بالتشدد عكش الكوفة التي كانت مختلطة بين الأعراب الفصيحة والموالى العجم، حيث اكتفوا بغرائب الكلام، وهذا ما صرح به محمد الشاطر أحمد في قوله: « أما الكوفيون فقد قبلوا كل مسموع، فأخذوا عن أهل الحضر ممن جاور المتحضرين من الأعراب، فلم يبالغوا في التحري والتنقيب، حتى قيل أنهم أفسدوا النحو لأخذهم عمن فسدت لغتهم »[2].

2- سلامة المأخوذ عنه والتأكد من الثقافات في صحة المروي:

كان البصريون يختبرون صحة المروي من خلال سلامة لغته وهذا ما ذهب إليه ابن جني في قوله « ومن ذلك ما يحكي بأن أب عمر بن العلا استضعف فصاحته

---

[1]- محمد الشاطر أحمد، الموجز في نشأة النحو، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1403هـ، 1983م، ص25.

[2]- نفسه، ص26.

أعرابي يسمى أب خيرة» [1]، فلما سأله فقال:« كيف تقول: استأصل الله عراقتهم؟، نصب أبا خيرة التاء من "عراقتهم" فقال له أبو عمر هيهات أبا الخيرة لأن جلدك» [2]، ومن خلال هذا القول نستنتج أن البصريين كانوا يختبرون سلامة لغة من يشكون في أمره عكس الكوفيين الذين كانوا يتساهلون في ذلك.

– أما عن الرواة: « فكان البصريون يتحرون في الأخذ عن الرواة فلا يأخذون إلا برواية الثقافات الذين سمعوا اللغة عن الفصحاء عن طريق الحفظة والأثبات الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات عن قائليها، أما الكوفيين فقد تساهلوا في التثبت من صحة المسموع وأمانة راويه وسلامة قائله»[3].

فقد كان البصريون لا يأخذون إلا عمن سمع اللغة من الفصحاء، عكس الكوفيين الذين كانوا يتساهلون في التحري عن الراوي.

3– القياس:

لقد كان الكوفيون يقيسون على القليل النادر، فكانوا عند سماعهم بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا، على عكس حين كان البصريون يقيسون على النتائج الأقحاح والقبائل الفصيحة.

---

[1]– محمد الشاطر أحمد، الموجز في نشأة النحو، ص26.

[2]– أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت، ص384.

[3]– محمد الشاطر أحمد، الموجز في نشأة النحو، ص27.

مثل: بنو قيس وبنو تميم، وفي الحقيقة أن دائرة الاستشهاد بالقياس تضيف وتتسع حسب المدرستين وهذا ما اتفق عليه المحدثون في قولهم: « على أنَّ مذهب البصريين أساسه القياس ومذهب الكوفيين أساسه السماع، وأن الكوفيين والبصريين جميعا يقيسون، غير أن الكوفيين أوسع قياسا »[1].

– لقد كان البصريون متأثرون بالمنطق وعلم الكلام هذا ما جعلهم يميلون إلى التأويلات البعيدة، أما الكوفيون فكانوا يعتمدون الرواية.

4– التنافس العلمي وإثبات الذات:

فقد كانت كل من المدرستين تسعى لإثبات ذاتها ووجودها، وهذا أمر فطري في الناس بالإضافة إلى إجراء المناظرات بينهم مما جعل الخلاف يزداد بينهم، وقد دونت الكثير من المناظرات مثل ما دار بين الكسائي وسيبويه، وبين الكسائي والأصمعي، وبين المبرد وثعلب.

5– ومن الأسباب أيضا العصبية الإقليمية التي يقصد بها:

أن يفضل كل بلده عن الآخر ويريد القدمة له، وهذه الأسباب التي زادت شعلة الاختلاف بينهم.

[1]– رشيد عبد الرحمان العبيدي وآخرون، تاريخ العربية، د.ط، د.ت، ص14.

6- المصطلح:

لا ينبغي لنا أن نغفل عن اختلاف الكوفيين والبصريين في المصطلح النحوي، فقد كان لاختلاف منهجية الدراسة أثر واضح في اختلاف المصطلحات بين المدرستين، فقد كانت الكوفة تجتهد في سبك مصطلحاتها، وذلك للاستقلال عن مدرسة البصرة، وأهم هذه الاختلافات تظهر في الجدول الآتي:

- جدول يبين بعض المصطلحات البصرية وما يقابلها من المصطلح الكوفي: [1]

المصطلح البصري	المصطلح الكوفي
- البدل	- الترجمة
- التمييز	- التفسير
- ضمير الفصل	- العماد
- الضمير	- المكنى
- ما يتصرف وما لا	- ما يجري وما لا يجري
- الظرف	- المحلّ
- اسم الفاعل	- الفعل الدّائم
- الحرف	- الأداة
- النفسي	- الجر
- العطف	- النّسق
- لا النافية للجنس	- لا التبرئة
- الجر	- الخفض

[1]- عوض أحمد القوزي، مصطلح النحو نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري، عماد شؤون المكتبات، الرياض، د.ط، س1981، ص 185-189.

– هذا الجدول يبين المصطلحات الكوفية والبصرية، ونلاحظ أن المصطلحات مختلفة لكنها متقاربة في المعنى نحو الصفة والنعت، فهما تختلفان في التنمية لكن نفس المعنى.

ثانيا: المدرسة البغدادية

1– بغداد لغة: تختلف العرب في لفظها إذا لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم فهي أربع لغات:

« بغداد، وبغداذ معجمه الأخيرة، وبغدان بالنون، ومغدان بالميم لدلا من الباء تذكر وتؤنث »[1]، فسرها ياقوت « قال بعض الأعاجم: فذكر أنه إلى كسرى خصي من المشرق فأقطعه إياها، وكان الخصي من عباد الأصنام ببلده فقال: بغ داد أياها أي الصنم أعطاني، وقيل بغ هو البستان وداد أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصي هذا البستان فقال: بغ داد فسميت به، وقال حمزة بن الحسن: بغداد اسم فارسي معرب عن باغ دا ذويه »[2].

تعتبر بغداد مدينة شهيرة بالعراق، كانت حاضرة الخلافة العباسية، بناها أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين، وضع أساسها سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة (145هـ)، وتسمى مدينة السلام، والزوراء أيضا.

[1]– شهاب الدين ياقوت، بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ص 480.

[2]– نفسه، م1، ص541.

– اختلف المحدثون حول قيام المدرسة البغدادية فمنهم من أثبت وجودها ومنهم من رفضها، ومن أوائل الذين قالوا بوجودها، محمد الطنطاوي في كتابه « نشأة النحو » حيث قال: « إن فترة من الزمن بعد تلاقي المدرستين اختلفت فيها اتجاهات العلماء إلى ثلاثة أنحاء أعقبها ركونهم إلى الاكتفاء بالمذهب الجديد، الذي أساسه المستحسن من المذهبين لأنهما قد تأصلا ووصلا مداهما فلم يكن للمحدثين إلا النظر في الاختبار»[1].

فالواقع أن مدرسة بغداد هي نتاج توصيات وتوجهات نحوية لدى أعلام تكون بعضهم في البصرة وبعضهم في الكوفة، وجمعهم جامع التوفيق بين المدرستين، فهم بصريون وكوفيون أصالة، ثم بغداديون بالاجتهاد واستغلال المنهج بعد ذلك.

1-2- نشأتها: منذ أن تأسست مدينة بغداد سنة خمس وأربعون ومائتين (245هـ)، وهي تجذب الناس إليها من كل مكان، لأنها كانت محط رحال كثير من أصحاب الحاجات، وتحدث الدكتور عبد الرحمان السيد في نهاية كتابه « مدرسة البصرة » ووضح أن التقاء المبرد وثعلب، فقد هيأ بمن رحل إلى بغداد « فرصة الموازنة والمقارنة التي أتيحت له ظروف الانتقاء والاختيار ... وكان ذلك إلهاما بظهور مذهب جديد تظهر سيماته في محاولة التوفيق بين المذهبين وفي اختيار المدرستين »[2].

---

[1]– محمد الطنطاوي، نظرية نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص90.

[2]– عبد الرحمان السيد، مدرسة الصرة، مطابع سجل العرب، الطبعة الأولى، 1986، ص 89.

فقد كانت بغداد تخلط بين المذهبين وتأخذ المستحسنة منها، لكن هذا لا يعني أنها لا تجتهد بل فتحت باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة.

المبحث الثاني: بعض مسائل الخلاف عند أعلام بغداد:

1- ابن كيسان: يعتبر ابن كيسان من العلماء البغداديين الذين اتخذوا موقفا وسطا بين البصريين والكوفيين فقد ذكر الدكتور محمود حسبيني محمود ذلك في قوله « ويميل ابن كيسان في مذهبه الكوفيين المختلفين حول مسألة نحوية إذا ما رأى المذهبين صائبين دون تعصب لمذهب على آخر »[1]، فقد تميز ابن كيسان عن غيره بأنه: « كان يبني أراءه معتمدا على الأصول النحوية التي اصطلح النحاة عليها كالسماع والقياس والتعليل، ومواد السماع عنده هي نفسها التي اعتمدها البصريون والكوفيون وهي القرآن الكريم، الشعر وما ورد عن العرب »[2]، وقد اتفق مع الكوفيين في جملة من المسائل نذكر منها:

- أجاز[3] معهم تقديم خبر "ما زال" عليها وما كان في معناها من أخواتها وشرحها محمود حسين محمود قائلا « منع البصريون التقدم واحتج الكوفيون بأن مازال ليس نفي للفعل وإنما هو نفي لمفارقة الفعل وبيان أن الفاعل حاله في الفعل متطاولة والذي يدل أنه ليس بنفي أن "زال" فيه معنى النفي و "ما" للنفي، فلما دخل النفي على النفي صار

---

[1]- محمود حسيني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو، ص191.

[2]- المرجع نفسه، ص188.

[3]- ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1289هـ، ص155، المسألة 17.

إيجابا، وإذا كان كذلك صار "مازال" بمنزلة "كان" في انه إيجاب وكما أن "كان" يجوز تقديم خبرها عليها نفسها، فكذلك "مازال" ينبغي أن يجوز تقديم خبرها عليها» [1].

– وقد وافق الكوفيين أيضا في « أن الاسم الذي آخره تاء التأنيث يجوز بأن يجمع بالواو والنون نحو: طلحة: طلحون، ولكنه اختلف عنهم في إجازته فتح اللام في الجمع فيقال: طلحون قياسا أرضون واختلف عنهم في الاحتجاج، حيث احتج ابن الكيسان بإسقاط التاء في الطّلحات فإذا أسقطت التاء وبقي الاسم يغير تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم أرض أرضون. وكما حركت العين من الطّلحون حملا على الطّلحات» [2].

– من خلال القول نرى أن الاسم الذي يأتي في آخره تاء التأنيث نحو مسلمة يجوز أن يجمع بالواو والنون، لكن ابن كيسان احتج بإسقاط التاء، فإذا أسقطت وبقي الاسم بغير تاء جاز أن نجمعه بالواو والنون.

– أما عن موافقته للبصيرين فتجده قد: « نهب مع المبرّد إلى جواز حذف المفعول الأول بغير دليل إذا كان في الجملة ثلاثة مفاعيل، بشرط ذكر الآخرين، أو حذف الآخرين بشرط ذكر الأول نحو: "أعلمت كشك سليما" بحذف الأول أو "علمت زيدا" بحذف الثاني

[1]– محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو، ص191.

[2]– نفسه، ص ص 195،196.

والثالث، أما سيبويه فذهب إلى أنه لا يجوز حذف الأول ولا الاقتصار عليه وحذف الآخرين، بل لابد من ذكر الثلاثة لان الأول كالفاعل والآخران مثلهما في باب ظن»[1].

– ومن خلال هذا نستنتج أنه إذا كان في الجملة ثلاثة مفاعيل يجوز حذف المفعول الأول، أو حذف الآخرين بشرط ذكر الأول، أما سيبويه فقد خالف ذلك فذهب إلى عدم جواز حذف الأول لأنه في مقام الفاعل ولا يجوز الاقتصار عليه وحذف الآخرين بل ذكر الثلاثة.

– كما ذكر سابق أن كيسان اتفق مع البصيرين والكوفيين واختلف معهم في بعض المسائل إلا أنه أيضا انفرد في البعض منها، حيث نجد ينفرد عنهم في بعض الجوانب فقد: « ذهب إلى أن وزن الأسماء الخمسة يحتمل أن يكون :فَعَلَ وفَعْل بينما ذهب البصريون إلى أنها وزن فَعَلَ، بدليلها جمعها على أفعال، إلا (فوك) فوزنه (فَعْل) وذهب الفراء إلى أنها على وزن فَعْل أما وزن فوك فُعْل بضم الفاء وإسكان العين فيكون ابن الكيسان أخذ بالرأيين بين رأي البصيرين ورأي الكوفيين » [2].

[1]– السيوطي جلال الدين، همع الهوامع، مطبعة السعادة، مصر، ص1، س1327هـ، ص158.

[2]– المرجع نفسه، ص140.

– وانفرد في تعليل « دخول لام الابتداء على خبر "إن" ورأى أنها دخلت عليه لأنها دخلت عليه لأنها للتأكيد و "إن" للتأكيد، والعرب ذكره توالي حرفين لمعنى الواحد، ولا تجمع بينهما إلا في الضرورة »[1].

– إذن إن أداة تركيب وإذا دخلت على الجملة فإنها تؤكدها ولام الابتداء تعمل عمل إن فهي الأخرى تفيد التوكيد.

2– الزجاجي: لقد عرف هو أيضا بانفراده بآرائه الخاصة ابن الكيسان غير أنه كان يميل في اتجاهه النحوي إلى البصيرين أكثر من الكوفيين وذلك تبين في: أنه وافق البصيرين في ثلاثة مسائل ألا وهي : « إعراب الصفة المشبهة في مثل: مررت برجلٍ حسنٍ وجهه»[2]، و« أي الفعلين يعمل في باب التنازع الأول أو الثاني»[3]، وأيضا « الوقف على نون التوكيد الحقيقة »[4]، غير أنه وقف موقفا وسطا في مسألة « فتح همزة "إن" وكسرها بعد القسم »[5]، فوافق المذهبيين على اختلافهما وقبل بكسر الفتحة وفتحها قال: « وتكسر إن أيضا بعد القسم كقولك والله إن زيدا قائم ..... وقد أجاز بعض النحويين فتحها بعد اليمين، واختاره بعضهم على الكسر.... » [6].

---

[1]– السيوطي جلال الدين، همع الهوامع، ص140.

[2]– الزجاجي، الجمل، تح ابن أبي شنب، مطبعة كلنكسيك بباريس، ط2، س 1957م، ص110.

[3]– الزجاجي، الجمل، ص123.

[4]– المرجع نفسه، ص236.

[5]– المرجع نفسه، ص236.

[6]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ص137.

والمعروف أن الكسر هو رأي البصيرين والفتح رأي الكوفيين.

وهنا يظهر موقفه الوسط في أخذه عن كلتا المدرستين كما أنه وافق أكثرهم في « منع إبلاء "كان" وأخواتها ما انتصب بغيرها إذ يجوز أن تقول: كان زيدُ آكلاً طعامك، وكان كلا، لأنك أوليت الطعام ل"كان" وليس باسم لها ولا خبر، وقد خالفهم في هذا الرأي جماعة الكوفيين وطائفة من البصريين »[1].

فالصحيح أن كان تعمل في اسمها وخبرها ولا تعمل في نفسها.

– وذهب الزجاجي معهم أيضا في مسألة الفعل والمصدر أنهما مشتق من صاحبه فاحتج البصريون بأن قالوا: « الدليل على أن المصدر أصل للفعل »[2]، وهذا يبين أن البصريين ذهبوا إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه أم الكوفيون ذهبوا إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه فاحتجوا بأن قالوا : « إنما قلنا إن المصدر مشتق من الفعل، ويعتل لاعتلاله»[3]، وأعطوا مثالا على ذلك في قولهم: « ألا ترى أنك تقول:" قاوم، قواما" فيصح المصدر لصحة الفعل وتقول :" قام، قياما" فيعتل لاعتلاله فلما صح لصحته، واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع »[4].

---

[1]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ص57.

[2]– ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصيرين والكوفيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418–1998، ج1، ص15.

[3]– المرجع نفسه، ص193.

[4]– المرجع نفسه، ص193.

– أما فيما وافق الكوفيين فقد ذهب معهم إلى أن « الفعل قسمان: ماض ومضارع وأن الأمر مقتطع من المضارع»[1]، ومع أنه جعل الفعل ثلاثة أقسام: فعل ماض وفعل مستقبل، وفعل في الحل يسمى الدائم إلا أنه جعل الحال والمستقبل واحدا فقال: "وأما فعل الحال، فلا فرق بينه وبين المستقبل في الفظ كقولك: زيدٌ قائمٌ ويقوم غدا »[2]، وبالتالي فالفعل عنده قسمان لا غير إلا أنه اختلف في تنميته من الفعل المضارع إلى فعل المستقبل أو الحال.

– أما عن انفراده فنجده قد انفرد في مسألة المنادى والمعروفة هي الأخرى بتعدد أنواعها فهناك المنادى المنفرد، والنكرة المقصودة والشبيه بالمضاف مثل:" يا طالبا علما وغيرها...فقد قال: « أن المنادى في كلام العرب منصوب المفرد العلم فإنه مبني على الضم في موضع نصب »[3]، ومن المتعارف عليه أن المنادى يأتي منصوبا لأن الأصل فيه مفعول به كما يأتي مبني على الضم في محل نصب مثل: يا سائق تمهل، وهذا ما جاء به الزجاج في القول السابق كما أجاز أن « تأتي "لما" بمعنى "إلا" للاستثناء فيقال على رأيه "لم يأت من القوم لما أخاك " بمعنى "إلا أخاك" »[4]، ولم يقبل النحويون ذلك.

---

[1]– الزجاجي، الجمل، ص22.

[2]– محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو، ص254.

[3]– الزجاجي، الجمل، ص ص 157، 163.

[4]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، ص236.

3- أبو علي الفارسي: وقد كان هذا الأخير قد ساهم في التوفيق بين المدرستين غير انه هو كذلك مال إلى آراء البصيرين على آراء الكوفيين ومما وافق البصيرين فيه أنه: « ذهب مع سيبويه إلى أنه إذا اجتمع معرفتان فأنت مخير في جعل أحدهما مبتدأ والثاني خبره، وقال آخرون أن الخبر في هذه الحالة هو الأهم في نحو: زيدٌ صديقي إذا كان له أصدقاء غير زيد »[1]، فهنا يكون "زيد" مبتدأ "لصديقي" الخبر المتم الفائدة للمبتدأ "زيدُ" وقد قال: « في "إذا" الفجائية بأنها ظرف نحو: خل رجت فإذا الأسدُ بالباب ظرف مكان، وشاركهما في هذا الرأي ابن جني وابن الخياط، وذهب الرياشي والزجاج إلى أنها ظرف زمان، أما الأخفش الأوسط والكوفيون فذهبوا إلى أنها حرف»[2]، كما تعرف أيضا بأنها جملة جواب الشرط.

- كما نجده قد وافق الكوفيون في مسألة أن « "لا سيما" من أدوات الاستثناء »[3]، مثلا قولنا: نجح الطلاب لاسيما زيدٌ. فنحن هنا بصدد القول أن: نجح الطلاب إلا زيدٌ فلا سيما لها دورا "إلا" وهي تدخل في دائرة الاستثناء مثلها مثل "إلا ولما"، ونجده أيضا قد اتفق مع الكوفيين في آراء نحوية وصوفية عديدة كان يؤخذ بها على الرغم من مخالفتها لآراء البصريين.

---

[1]- السيوطي جلال الدين، همع الهوامع، ص100.

[2]- المرجع نفسه، ص 207.

[3]- المرجع نفسه، ص 234.

– لقد كان انفراد أبا علي في مسائل خلافية بين المدرسة الكوفية ونظيرتها البصرية فقد وجدت مسائل ظهر فيها رأي المدرستين من جهة ورأي الفارسي من جهة أخرى ومنها ما سيتم ذكره: « كان سيبويه يرى أن الأسماء الخمسة معربة بحركات مقدرة في الحروف، وكان يري الكوفيون أنها معربة بحركات على ما قبل الحروف. أما أبو علي فذهب إلى أنها حروف إعراب دالة عليه »[1].

– وكان سيبويه والجمهور يذهبون إلى أن « الأفعال الخمسة ترفع بالنون وتنصب وتجزم بحذفها. وقال الأخفش الأوسط هي معربة بحركات مقدرة على ما قبل الألف في مثل: يكتبان والواو في مثل: يكتبون والياء في مثل: تكتبين وقيل إعراب هذه الأفعال بالألف، والواو، والنون، أما أبو علي فقال: أنها معربة ولا يوجد بها حرف إعراب، لا النون لأنها تسقط في النصب والجزم، ولا الألف والواو والياء لأنها ليست في آخرها ولأنها ضمائر متصلة بها »[2]، وهذه مسائل واضحة ومختلفة لاختلاف الآراء فيها.

المبحث الثالث: التوفيق والوسطية بين المنهجين

– يرى الدكتور مهدي المخزومي أن المدرسة البغدادية نشأت في الوقت الذي كان الصراع قائما بين المبرد وثعلب وقال أن: « طبقة من الداربين أخذت عن شيوخ المدرستين

[1]– الرضي، شرح الكافية مطبعة جارسو تركيا، د.ط، 1305هـ، ص24.

[2]– السبيوطي، همع الهوامع، ص51.

فعرفوا المنهجين، واستفادوا من الفئتين، ثم قرر أن المذهب البغدادي ليس إلا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا »[1].

- وعلى هذا الأساس نسب المنهج التوفيقي إلى بغداد، لأن البصرة والكوفة كان لهما السبق في دراسة اللغة واستنباط قواعدها، إذ اعتمدت الأولى على المنهج العقلي، بينما انتهجت الثانية منهج النقل، فكان لهذه المدرسة حق الجمع والمقارنة والانتقاء والتوفيق.

– يتفق القائلون بالمدرسة البغدادية أن منهجها قائم على التوفيق بين آراء البصريين والكوفيين، يقول الدكتور شوقي ضيف: « اتبع نحاة بغداد في القرن الرابع، الهجري نهجا جديدا في دراستهم ومصنفاتهم النحوية، يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية »[2]، وبذلك كونوا مذهبا متميزا ألا وهو المذهب التوفيقي الذي جاء لفك الخلاف بين المدرستين الكوفية والبصرية، وسماه الشيخ محمد الطنطاوي بأنه « حدث للنحو به عهد جديد، قضى أن يعد آخرا من أطواره »[3] المتتالية.

بعد اشتداد النزاع بين البصريين والكوفيين في بغداد صارت الرغبة إلى تحقيق ذلك النزاع، ولا سيما عند الخلفاء والزعماء الذين برزت لديهم الرغبة الأكيدة لنبذ هذه الأفكار العدائية وهذه الروح الهدامة لدى العلماء وآثروا الاعتماد في مسائل النحو واللغة على أصلح

---

[1]– مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1958، ص70.

[2]– شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، د.ع، ص245.

[3]– محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، ص109.

الآراء في منهج كلتا المدرستين، وبرز علماء يمزجون بين المذهبين وذلك في منتصف القرن الثالث الهجري، وبعد وفاة الشيخين المبرّد (ت285هـ) وثعلب (ت291هـ)، أي في أواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري لاقى هذا المنهج التوفيقي استحسان جماعة من النحويين.

– فقد بدأ ظهور الدافع التوفيقي مع الأخفش الأوسط الذي قارب بين المدرستين باتخاذه منهجا وسطا معتدلا وتأثر به نحاة الذين أتوا بعده. « وبعد أن أدت المناظرات التي دارت بين البرد وثعلب وشهدتها التي أطبقت الآفاق أدت إلى استقطاب تلاميذ النحو، وتوافد أعداد كثيرة من شتى أقطار العالم الإسلامي للأخذ عنهما، فبدأ التلاميذ يتنافسون في تحصيل العلم بعيدين كل البعد عن التعصب القائم بين المذهبين، وإنما هو تنافس من أجل العلم المحض ومن أجل التعرف على الآراء الصائبة أنى كان مصدرها، آراء يقتنعون بها ويستطيعون إقناع تلاميذهم فيما بعد، فلم يكن أحدهم يجد حرجا ولا حيرا من التنقل بين هذين العالمين، والجلوس عند هذا وذاك ليقارن بين ما يسمع ثم ينخله ويصفي ما يحلو له ويروق ».[1]

[1]– محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص112.

– ولقد تحدث محمود حسني محمود عن التلاميذ الذي تتلمذوا على يد المبرد وثعلب حيث قال: « ولما أصبح هؤلاء التلاميذ معلمين صاروا يعلمون ما اختاروه من المذهبين ويجيبون أحيانا بإجابات بصرية وأحيانا بإيجابيات كوفية حسب اقتناعهم بها» [1].

وهذا يبين أن النزاع القائم بدأ بالانصهار.

– وفي مقام آخر فقد ذكر محمود حسني محمود تلاميذ المبرد وثعلب، ووقوف بغداد موقفا وسطا معتدلا بين المدرستين، حيث قال: « إذن لقد أثمرت البذرة التي غرسها الأخفش الأوسط في الجيل الثالث بعده، أي في تلاميذ المبرد وثعلب، في الوقت الذي كانت المدرستان النحويتان فيه قائمتين، فأصبح في بغداد منذ بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ثلاث مدارس نحوية، ومن بينهم مدرسة بغداد التي وقفت موقفا وسطا بين المدرستين وانبثقت من خلالهما، حيث تحرر أفراد هذه المدرسة من القيود والالتزامات، وانطلقوا إلى مجال أرحب وأوسع، حيث اطلعوا على المذهبين بدون تعصب»[2]، ومن هنا نستنتج أن مذهب البغداديين كان قائما على الانتخاب بين المدرستين لكن هذا لا ينفي أنهم لا يملكون آداءا مستقلة على المدرستين، حيث قال محمود عشي محمود في موضوع آخر مؤكدا أن: « بعض البغداديين كانوا يميلون إلى مدرسة الكوفة دون تعصب على مدرسة البصرة، وأن بعضهم كانوا يميلون إلى البصرة

[1]– محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص114.

[2]– محمود حسني محمود، المرجع السابق، ص115.

دون تعصب على مدرسة الكوفة، ولكن جمع البغداديين يلتقون في وسط الطريق وهو الاعتدال والموقف الوسط، والانتخاب من المدرستين دون تحيز وتعصب »[1].

– وقد كان الأمر كذلك حقا « فقد انتشر المذهبان في بغداد وأصبح أمام العلماء هناك مذهبان مؤسسان قديمان ودخيلان على البلاد وكانت لهم الفرصة المتاحة للنظر في المذهبين البصري والكوفي على حد سواء والعمل على الموازنة بينهما ودراستهما في روية وتأني، وكانت النتيجة نشوء فريق جديد من النحاة، أساسه واعتماده المستحسن من المذهبين »[2].

– وقد كان نشوء هذا الاتجاه الجديد خلال القرن الرابع هجري معتمدا على الجيد والمستحسن عند المذهبين البصري والكوفي، حيث تحدث عن ذلك صاحب نشأة النحو (محمد الطنطاوي) وصاحب (القواعد النحوية)، فقد ذكر: « أتيح للبغداديين بهذا أن ينظروا في المذهب البصري والكوفي ويوازنوا بين آراء الفريقين، فأنشأوا لهم مذهبا كان أساسه المستحسن من المذهبين...» [3].

ونجد أيضا د. مهدي المخزومي مفندا بذلك الطنطاوي قائلا: « فكانت هذه الظاهرة نقطة تحول أو بادرة توحي إلى نشأة اتجاه جديد فيه مزايا الاتجاهين »[4].

---

[1]– محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، ص116.

[2]– عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة، لبنان، 1983، ص155.

[3]– عبد الفتاح الدجني، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ص131.

[4]– مهدي المخزومي، المرجع السابق، ص81.

– فقد كان نشوء هذا الاتجاه الجديد متعمدا على الجيد والمستحسن عند المذهبين البصري والكوفي، وإلى المنحنى نفسه يذهب الباحث شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية) قائلا: « وكان من أهم ما هيأ لهذا الاتجاه الجديد، أن أوائل النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستهما، ويعني بالتعمق في مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة »[1].

ومن هنا نستنتج أن خلاصة هذا الاتجاه هو الانتقاء من المدرستين محتجين مرة لهذا ومرة لذلك، ووازنوا في كفة الترجيح بين المذهبين.

[1]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص245.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث وبعد هذه المحاولة المتواضعة يمكن تلخيص أهم ما جاء فيها في النقاط الآتية:

1- نشأة النحو العربي: حيث صعبت نسبة هذا العلم إلى شخص معين وتضاربت الآراء فتعددت الروايات حول وضعه، ومن خلال تلك الآراء هناك من الروايات من جعل ثلاثة يشتركون في وضع هذا العلم وهم: ظالم بن عمرو الدولي (69هـ)، ونصر بن عاصم (89هـ)، وعبد الرحمان بن هرمز (117هـ) فهم بدورهم وضعوا للنحو أبوابا وأصلوا به أصولا.

2- نشأة مدرسة البصرة والكوفة:

أ- نشأة مدرسة البصرة: إن النحو بصورته المعروفة نشأ بصريا وتطور بصريا ويكاد يجمع الدارسون على أن النحو نشأ لحفظ القرآن من اللّحن، وهم يقدمون في ذلك روايات كثيرة عن أبي الأسود الدؤلي وصنعية النحو، فقد اتبعت البصرة منهجا خاصا بها فقد اعتمدوا في السماع والقياس على الشواهد والروايات الموثوقة، وألسنت العرب التي تصلح للثقة فيها أن تكون قاعدة تتبع، وحين يواجهون بعض النصوص التي تخالف قواعدهم، كانوا يرمونها بالشذوذ أو يتأولونها حين تنطبق عليها قواعدهم.

بعد نشأة مدرسة البصرة، يبدأ الكسائي الذي رحل إلى البصرة وأخذ منها النحو، لكنه اختلط بالأعراب فقسد علمه، لذلك تحتاج إلى قراءة كتاب سيبويه، فسأل الأخفش ليقرأ كتاب سيبويه، ومع ذلك صنع الكسائي منهجا يختلف عن البصرة في التطبيق، أما عند منهجها فاعتمدت السماع والقياس فقد قبلوا كل ما جاء عن العرب واعتدوا بها وجعلوه أصلا من أصولهم التي يرجعون إليها ويقيسون عليها، حتى تلقفوا الشواهد النادرة وقبلوا الروايات الشاذة، لذلك كان الكوفيون أقل تشددا.

ب- نشأة النحو البغدادي: حيث اختلفوا حول وجود هذه المدرسة فمنهم من أثبت وجودها ومنهم من نفاها، والحقيقة أن المدرسة البغدادية جاءت للتوفيق بين المدرستين، وحل الخلاف الذي كان سائدا بينهما، حيث تميز هذا النحو بطريقة خاصة في التعامل مع مصادر النحو العربي كالسماع والقياس، فهو أحيانا يتفق مع المذهب البصري وأحيانا مع المذهب الكوفي وأحيانا ينفرد بمنهج خاص، وهذا ما ذكرناه في القسم الخاص بعلماء بغداد في التوفيق.

- وفي الأخير لا ندعي أننا وفينا هذا الموضوع حقه من الدّراسة، فما يدرنا من نجاح فيه فهو توفيق من عند الله وما بردنا من خطأ فهو من أنفسنا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب:**

1- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: أبو فهد محمود محمد شاكر، دار مدني، جدة، د.ط، 1980.

2- أبو بكر الزبيدي الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار المعارف، مصر، 1392هـ، 1973م.

3- عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلغي، دمشق، سوريا، ج2، 2004. (بتصرف).

4- أبو الفتح عثمان ن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، ج1، د.ت.

5- علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة بيروت، لبنان، د ط، 1985.

6- علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

7- أبو زكرياء الفراء، مذهب في دراسة النّحو واللّغة، د. أحمد مكي الأنصاري، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الجامعية، القاهرة، 1964.

8- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، علم الكتب، القاهرة، ط3، 1978.

9- د. عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، دار الشروق، ط1، 1980.

10- بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، لبنان، ج5، د.ت.

11- شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الحَموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز، الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، م1، 1990.

12- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار مدني جدة، د.ط، 1980.

13- إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، دار الميسرة، د.ط، 2008.

14- صالح أحمد العلى، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، طبعة المعارف، بغداد، 1953.

15- شوقي ضيف، المدرسة النحوية، دار المعارف القاهرة كورنيش النيل، ط7، 1119.

16- محمد الطهطاوي، نظرية نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت.

17- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه.

18- السيّد رزيق الطويل، الخلاف بين النحويين ـ دراسة ـ تحليل ـ تقويم، المكتبة الفيصلية، د.ط، د.ت.

19- عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النّحو، مطبعة الزهراء، بغداد، د.ط، م1، 1976.

20- عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي الجراح الصباح، ط2، 1978.

21- شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، ط1، م1، بيروت، 1990.

22- عبد الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، 1988.

23- صالح أحمد العلى، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، طبعة المعارف، بغداد، 1953.

24- السيّد عبد الرحمان، المدرسة البصرية النحوية نشأتها تطورها، دار المعارف، القاهرة، 1978.

25- الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم، تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، د.ط، د.ت.

26- جمال الدين علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباء النّحاة، تح: محمد الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ط1، ج2، 1952.

27- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه.

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	
الفصل الأول: النحو العربي والمدارس النحوية	1-23
المبحث الأول: النحو العربي والمدارس النحوية	2
1- نشأة النحو	3
2- مفهوم النحو	4
3- تعريف المدرسة النحوية	5
المبحث الثاني: المدرسة البصرية النحوية	7
1- مفهوم البصرة	7
2- أشهر علمائها	9
3- منهج بحث مدرسة البصرة	13
المبحث الثالث: المدرسة الكوفية النحوية	16
1- مفهوم الكوفة	16
2- أشهر علمائها	19
3- منهج بحث مدرسة الكوفة	20
الفصل الثاني: مسائل الخلاف بين البصرة والكوفة	24
المبحث الأول: نشأة الخلاف بين البصريين والكوفيين	25
1- الخلاف النحوي بين الفريقين	25
2- المدرسة البغدادية	30
المبحث الثاني: بعض مسائل الخلاف عند أعلام بغداد	32
1- ابن كيسان	32
2- الزجاجي	35

3- أبو علي الفارسي	38
المبحث الثالث: التوفيق والوسطية بين المنهجين	39
الخاتمة	46-49
قائمة المصادر والمراجع	48-51